Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأليف فى هذا العهد

كان النشاط فى الحركة العلمية طابع هذا العهد إذ انبعث روح التأليف من جديد، فظهرت كتب متنوعة فى العلوم، وبدت موسوعات تشمل كثيراً من الفنون، وقد يبدو هذا غريباً لما غشى هذا العهد فى ظاهره من عزوف عن العلم وجهل من جل الملوك بلغة الضاد التى ظهرت فيها تلك الكتب القيمة، بيد أن الباحث إذا روّى وأنعم النظر تبدّت له أسباب متضافرة على هذا العمل الجليل؛

منها: زوال سلطان التتار عن البلاد.

ومنها: انتهاء الحروب الصليبية.

ومنها: ما تلا ذلك من حياة وادعة واستقرار أصبح الناس معه فى سلام آمنين.

هذا إلى إحساس العلماء بأن الوفاء للغة القرآن يقتضيهم أن يهبوا أنفسهم لعلومها المختلفة؛ لأن العلوم العربية فى شتى نواحيها تلتقى عند غرض واحد، هو نصرة الدين، وتيسير فهم القرآن الكريم.

فإذا انضم إلى هذا ما اتصف به الملوك - وقد حذا حذوهم الأمراء - من حرص بالغ على تخليد آثارهم، ولم يكن لهم - كما سلفت الإشارة - من نسب يركنون إليه، أو حسب يعولون عليه.

لذلك أغدقوا على العلماء، وأجزلوا للمؤلفين العطاء، وصادف هوى فى نفوسهم أن يوشى المؤلفون صدور كتبهم بأسمائهم.

ومما زاد حركة التأليف اشتعالاً فى هذا العهد ما منيت به خزائن الكتب من إقفار وما نكبت به على أيدى التتار.

كل أولئك كان حافزاً لهمم العلماء أن تجمع ما تفرق، مذكيا لقرائحهم أن تحيى ما دَرَس.

قال السيوطى: وقد جاء فى أعقاب هذا العهد، وهو به جد خبير: «حكى عن الصاحب بن عباد أن بعض الملوك أرسل إليه يسأله القدوم عليه فقال له فى الجواب: أحتاج إلى تسعين جملاً أنقل عليها الكتب التى عندى [1]، ثم قال

(١) بغية الوعاة ص ١٩٧ .